



# مدا

من زمن التوهج



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

[www.almadasupplements.com](http://www.almadasupplements.com)

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

مخزي لريم

العدد (5211) السنة التاسعة عشرة -

الخميس (23) حزيران 2022

# معيد البصري

1930 - 2022

## (فرقة الطريق)

# ودروب الشجن العراقي الطويلة

فادي بعاج



فرقة الطريق أسرة موسيقية مزجت أغاني الناس مع سلاطمة المقام العالية. أسرة توصف بأنها فرقة ثورية لكل العرب لا لفتة أو جماعة معينة، ومع أن مؤسسها من اليساريين العراقيين المناهضين لحزب البعث الذي حكم العراق، إلا أن فرقة "الطريق العراقية"، كانت قد مثلت الأغنية السياسية العربية والعراقية أفضل تمثيل، شعبياً ونخبوياً، رغم أنها غيرت عنوانها مرات عدة، منذ نشأتها في العراق وتنقلها بين الدول العربية، وصولاً إلى هولندا التي أصبحت بلد اللجوء للعائلة الفرقة، وهي أسرة الموسيقار العراقي حميد البصري المؤسس الرئيسي.



### مع زهير الدجيلي

القصة بدأت مع تأسيس فرقة "جماعة تموز للأغنية الجديدة" عام 1976 خلال جلسة تشاور ونقاش بين البصري والشاعر زهير الدجيلي حيث تم الاتفاق على تأسيس فرقة غنائية مصغرة يكتب كلمات أغانيها الدجيلي ويقوم بتلحينها حميد البصري، على أن يكون مضمون الأغاني غير مباشر، يتكلم عن حب الوطن والتمسك به وحب الناس، مع تضمين مبطن لقضايا العراق والوطن العربي.

وقدمت الفرقة أغاني وطنية في حفلات جماهيرية كبيرة في بغداد وبعض المحافظات، نالت تلك الأغاني إعجاب كل من سمعها، ولكن المسؤولين في النظام العراقي السابق لم يسمحوا بتسجيل تلك الأغاني في الإذاعة أو التلفزيون لأسباب سياسية، وفي نهاية سبعينات القرن الماضي، وبسبب الظروف السياسية، غادرت الفرقة العراق مضطرة إلى عدة دول، أما عائلة البصري فقد سافرت إلى اليمن الجنوبي، وهناك كانت بداية فرقة الطريق التي تأسست امتداداً لفرقة "جماعة تموز للأغنية الجديدة"، فقدت الفرقة حفلات غنائية في مختلف محافظات اليمن الجنوبي في العام 1981. التوجه الحزبي الذي يطبع غالبية الفرق الغنائية الملتزمة طغى على توجه "فرقة الطريق" في بداياتها، فكانت بعض الأغاني تشيد بنضال الثائرين، وتحيي صمود من في السجون، وكان أعضاء الفرقة يسجلون تلك الأغاني ليتداولها المعارضون سرّاً، وكان من بينها "حرية"، "كل الأغاني انتهت"، "غنوا لرفيق"، "الفكاهاني"، "هون ألف مرة" والأغنية الشهيرة "أعدو" التي تقول كلماتها:

"أعدو أعدو وكيف لا أعدو  
أعدو بالطيارة، معلقاً أعدو

إن دمروا الطائرة ألحق بالسيارة، ومسرّعاً أعدو  
إن أحرقوا السيارة فإن لي رجليين وراكضاً أعدو

إن قطعوا الرجلين فإن لي يدين، مجدداً أعدو  
إن بتروا اليدين فإن لي صدرا وزاحفاً أعدو  
إن قطعوا الرجلين فإن لي يدين، مجدداً أعدو  
إن بتروا اليدين فإن لي صدرا وزاحفاً أعدو  
وكيف لا أعدو؟ لا بد أن أعدو.

وكان أول انتشار واسع لأغاني فرقة الطريق السياسية في أوائل الثمانينات من القرن الماضي عندما قدمت الفرقة أكثر من ثلاثين حفلاً جماهيرياً في لبنان للمقاومة اللبنانية والفلسطينية، وقتها سجلت الفرقة أكثر من عشرين أغنية منها "كفر قاسم"، "صبرا وشاتيلا"، "يا سما أكتوبر"، "لا تسألني عن عنواني" و"صوت الشهيد"، ثم توالى حفلات الفرقة في سوريا حيث كانت الفرقة تدعى سنوياً إلى تسجيل أغاني جديدة وتقديم حفلات جماهيرية، كما قدمت الفرقة أغاني وطنية خاصة لسوريا مثل "دمشق أبهج ما غنى به الغابرون" وأغنية "هلا هلا هيا".

استمرت الفرقة بإنتاج الأغاني التي تواكب الأحداث في الوطن العراقي والعربي، تذكر العراقيين في الخارج بضرورة الالتصاق بوطنهم والعمل، لكن ومع هذا فقد أنتجت الفرقة الكثير من الأغاني الغزلية البعيدة عن السياسة، وأشهرها "تدرون ليش نحب"، "للمرأة غوانتا".

حميد البصري الذي يعد المؤسس وأب لفرقة الطريق وملحن كافة أغانيها، كان شاباً صغيراً أصرد ذات يوم على شراء آلة عود دون علم أبيه فنان الموشحات الشهير خلف البصري الذي تمنى له مستقبلاً راسياً ومهنياً آخر

### حميد البصري

مؤسس فرقة الطريق وملحن جميع أغانيها هو الموسيقار العراقي حميد البصري الذي أصرد على شراء آلة العود دون علم أبيه فنان الموشحات الشهير خلف البصري الذي تمنى له مستقبلاً راسياً ومهنياً آخر، لكن حميد الذي برع في التدرّب على آله الموسيقية التي عشقها، سينطلق في العام 1955 بمسيرة فنية حافلة بالأعمال الغنائية الموسيقية، ليحصل بعدها على أولى شهادته الأكاديمية التخصصية العليا من تونس في العام 1976.

وقد غادر العراق مكرها في العام 1978 ليبدأ وعائلته وفرقته رحلة المنفى، وليلحن في مطلع هذه الرحلة بعض أغاني الأطفال في الكويت، لينتقل بعدها بين بيروت ودمشق وعدن واحتفاليات وسط جموع هادرة بكلمات أغانيه حتى استقر صحبة زوجته وشريكة حياته شوقية العطار في المهجر الهولندي.

وهو أستاذ الموسيقى العربية الذي بدأ تدريس الموسيقى في معهد الدراسات النغمية ببغداد ودرّسها في محافل أكاديمية أوروبية عدة، ولكن البصري الذي اشتغل في الموسيقى العربية طويلاً، قرر أن يتحول في انعطاف مهم في حياته الفنية نحو التركيز بالأساس على الموسيقى العراقية وتحديداً منها المقامات، الأمر الذي أثر على شكل ألحانه ونمطها آنذاك، للبصري أكثر من 150 عملاً غنائياً وثلاثاً وأربعمائة "بيادر خير" و"أبيدية البحر" و"الثورة وزونبياً" وله مؤلفات أثرت المكتبة الموسيقية العربية، منها كتاب "الأغنية الشعبية" وسجل الكلمة والنوتة الذي قضى في عمله عليه سنوات طويلة.

شارك حميد البصري صحبة فرقته في العديد من المهرجانات الموسيقية العربية والعالمية بالإضافة إلى العراقية، كمهرجان الموسيقى الشفاهية في غرناطة/أسبانيا، ومهرجان ألين ماك في بلغاريا، ومهرجان الموسيقى العربية في الجزائر والوفد الفني لمهرجان الشبيبة في موسكو وطوكيو.



حميد البصري صاحب طموح متجدد ولهذا فقد قرر، وهو يجتاز الخامسة والسبعين من عمره المديد أن يحصل على الدكتوراه بدرجة امتياز، من جامعة لاهاي العالمية، وكانت الأطروحة التي قدّمها دراسة منهجية اعتمد فيها على تجربته الذاتية وقدم فيها بحثاً نموذجياً في التحقيق والإبداع لينقل تعلم دراسة المقام من الشفهية إلى الضوابط العلمية المسجلة، وليقدم إلى طلبة هذا الفرع من الدراسة أسلوب التعلم الأكاديمي الموثق.

ابتكر ابن البصرة العريقة مقاماً موسيقياً عربياً جديداً وهو الراسد البصري وألف فيه سماعي وموشح وأعاد ترتيب الفرقة الموسيقية العربية على نمط يجعلها أقرب إلى أوركسترا مقامية عربي وألف عشرات الأغاني والمقطوعات الموسيقية الخاصة ودرّس أصول الموسيقى العربية للناشئة في كل مكان عاش فيه.

الفرقة الأم "جماعة تموز للأغنية الجديدة" تتأسس في العام 1976 خلال جلسة تشاور ونقاش بين البصري والشاعر زهير الدجيلي حيث تم الاتفاق على تكوين فرقة غنائية مصغرة يكتب كلمات أغانيها الدجيلي ويلحنها البصري، على أن يكون مضمون تلك الأغاني غير مباشر، يتناول حب الناس والوطن

### شوقية العطار صوت الطريق

العزود الغنائي الأساسي لفرقة الطريق العراقية هو شوقية العطار التي بدأت الغناء منذ منتصف خمسينات القرن الماضي، حيث قدمت أغنيات انفرادية لأشهر مطربات ذلك الزمن، مثل أم كلثوم وأسمهان وغيرها في العديد من الحفلات المدرسية في مدينة البصرة، وكانت أول أغنية خاصة بها عام 1959 من ألحان الفنان حميد البصري الذي تزوجها بعد ذلك بفترة قصيرة.

وبوجودها مع تدريب شوقية العطار على مختلف أنواع الغناء العراقي والعربي، وفي عام 1969، قامت بدور البطولة في الأوبريت الشهير "بيادر خير" مع الفنان العراقي الكبير الراحل فؤاد سالم ومجموعة كبيرة من الفنانين البصريين، وتكررت التجربة في الأوبريت الثاني "المطرقة" عام 1970.

انتقلت شوقية العطار في العام 1971 مع عائلتها إلى بغداد، فدخلت معهد الدراسات النغمية في بداية تأسيسه، لدراسة المقام العراقي وآلة القانون، لكنها لم تكتمل الدراسة في المعهد لكثرة التزاماتها الأسرية والفنية، واستمرت بالتدرب على الغناء العراقي والمقامات وغيرها مع زوجها حميد البصري، ثم أصبحت عضواً في فرقة الإنشاد العراقية التابعة للتلفزيون في بداية تأسيسها كمغنية انفرادية وجماعية.

وقد اكتسبت من ذلك خبرة في غناء الموشحات، وفي منتصف السبعينات، سجلت مع الفنان فؤاد سالم الأغنية الغنائية الشهيرة "يا عشقتنا" من ألحان زوجها حميد البصري، والتي اشتهرت في العراق على كافة المستويات الفنية والاجتماعية وإلى حد الآن، فكانت شوقية نموذجاً مكثفاً للمرأة العراقية التي تعمل وتدرس وتربي خمسة أولاد وتعتني بزوجها وتلحق به في مهجره أينما كان، وهي تدبّع في كل ذلك وتبقى لديها طاقة تكفي للغناء الجميل.

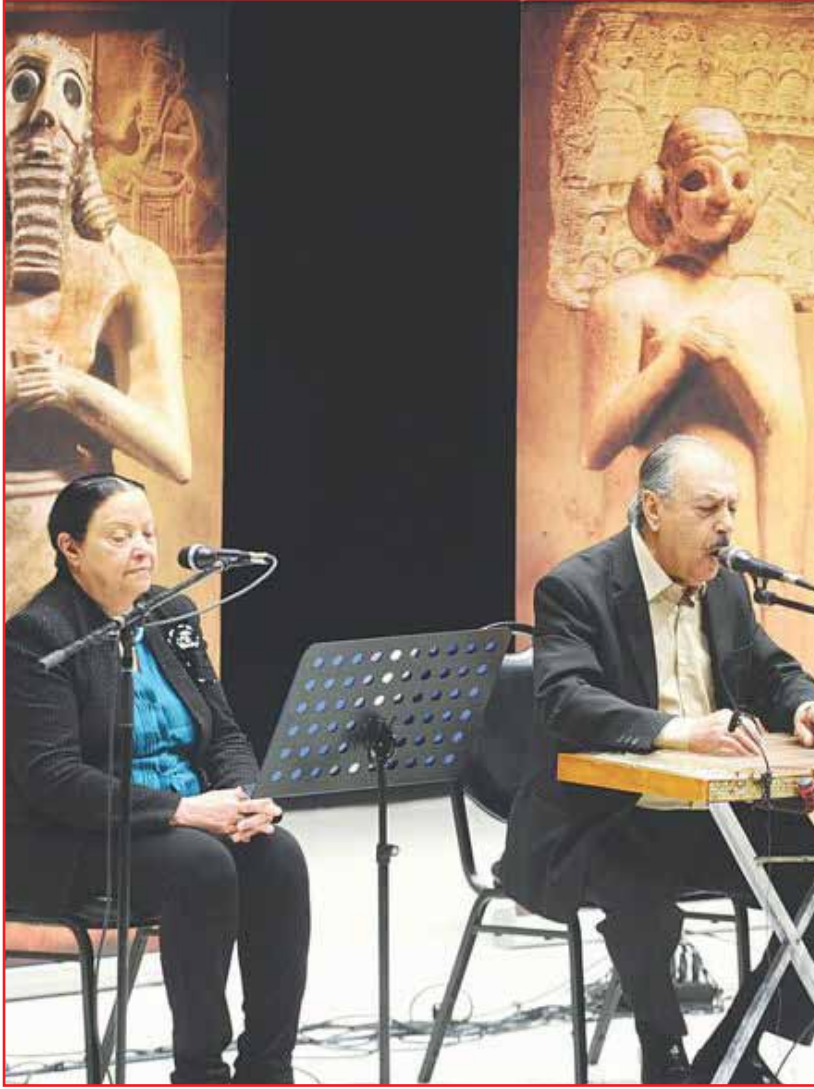
العطار التي تلقب بـ"قارئة المقام" لديها عدد كبير من الأغاني بعيداً عن كونها شريكة حقيقياً في فرقة الطريق، ومن تلك الأغاني "اللؤلؤ لوه"، "اشتقتك يا نهر" و"اسهرناك دهر" وهي من كلمات الشاعر العراقي الكبير "مظفر النواب" وألحان زوجها البصري الذي لحن جميع أغانيها.

فرقة البصري الجديدة

بعد ما التأم شمل العائلة كاملة في هولندا، أعيد تأسيس الفرقة، وهنا كان الاسم موضع نقاش بين أفراد العائلة، هل الفرقة تبقى نفس الاسم أو بتغيير اسمها، حينها ألح الأبناء على والدهم بتغيير الاسم إلى اسم يدل على العائلة أي "البصري"، ويذكر حميد البصري في أحد لقاءاته التلفزيونية هذا الأمر قائلاً "كوننا ديمقراطيين فالأكثرية غطوا على المسألة، فلم نستطع أن نعارض المسألة فسمينا الفرقة فرقة البصري، وأيضا الفرقة لها مبرر لأنها صارت فرقة عائلية فقط، يعني أنا وزوجتي وأولادي وبناتي".

قدمت الفرقة العديد من الحفلات في مناطق مختلفة في هولندا، كما جالت الكثير من الدول الأوروبية حيث التقت بالجاليات العراقية وغنت التراث العراقي والألوان الغنائية العراقية، مثل المقامات والأطوار والأغاني الشعبية، والألوان العربية كالموشحات والقصائد والأناوار.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أفراد العائلة الفنية بامتياز وهم أربع أولاد وبنات واحدة، نديم الابن الأكبر وهو عازف كمان وفيلولا، رعد الابن الأصغر المعروف بـ"رعد خلف" الموسيقار والمؤلف الموسيقي البارز في سوريا، وهو أيضاً عازف كمان من الطراز الرفيع، كما أنه مؤسس فرقة "زرياب" الموسيقية، أما الابن الثالث فهو سامر الذي تخصص في الإخراج المسرحي الغنائي في موسكو، و الابن الأخير "أور" تخرج من أكاديمية ملكية بدانهاخ بهولندا قسم الجرافيك، وأخيراً آخر العنقود وهي بيدر التي صار لها اسمها الفني في عالم الأغنياء العراقيين والهولنديين، وهي عضو أساسي في فرقة البصري حيث أنها ورثت من والدتها صوتها الجميل، وما زالت تحمل إرث العائلة الفني بصوتها وتقديمها حفلات في دول أوروبية عدة.



## حميد البصري ورحلة الحنين

علي حسين

مريرة مع المطاردة والغربة، ويخفي خشيتته بنوبات من الحنين والأسى أحياناً، على زمن جعل من العراق مجرد ذكرى لحلم يريد له البعض أن يمرّ سريعاً.

كان حميد البصري مغرماً بما يقدمه، سواء في الموسيقى، أو الكتابة أو المواقف الحياتية، يعتقد أن الفن والثقافة سيصنعان بلداً يكون ملكاً للجميع، وإنساناً يبذر الخير لمجتمعه.

يكتب الكولومبي غارسيا ماركيز: إن المتفردين لا يرحلون كأفراد.. يرحلون، كمرحلة بصموا على بدايتها وصار رحيلهم خاتمتها. بدأ حميد البصري يغني للفرح والأمل والعشيق وفرحة الطيور التي لم يسمح لها بأن تعود إلى أعشاشها، وانتهى بعدابات الغربة.

رحل حميد البصري غريباً، وقبل "20" عاماً رحل كاتب أغنية "يا عشكنا" كاظم الرويعي غريباً في عمان، وقبل تسعة أعوام مات فؤاد سالم مهملاً في أحد مستشفيات دمشق.. وكانوا جميعاً، يحملون أن العمر سيضيع في بلادهم التي عشقوها حتى النفس الأخير: "يا عشكنا فرحة الطير الجرد لعشوشه عساري".

نستذكر زمن حميد البصري ونتأسى عليه، لأن الحاضر الذي نعيشه يحيط به الخراب، بلا لون ولا طعم، ونبحث عن الذين صنعوا لنا الفرحة، لأن الذين نعيش معهم اليوم لا يجلبون لنا سوى الهم والغم ومفردات الانسداد والانبطاح. ونتمنى أن نصبح دولة سوية تكرم الذين يستحقون التكريم، ولا تنتشل بالبحث عن منصب للشيخ علي حاتم السليمان.

قبل حوالي أربع سنوات شاهدنا عبر الفضائيات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ومعهم الحكومة الفرنسية بأكملها، وكذلك الرئيسين السابقين نيكولا ساركوزي وفرانسوا هولاند، على رأس عدد كبير من المشيعين الذين ساروا وراء جنازة المطرب الفرنسي شارل أزنافور..

ولأنني مواطن "عشيم" وعلى نيائي، كنت أتصور أن الدولة، والتي غنى لها حميد البصرة اجمل الاالحان ستعزي برحيل فنان بحجم حميد البصري، الذي غادرنا في بلاد الغربة يئن على بلاد تنكر أبناءها. لكن يبدو أنه ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، فغاب حميد البصري أيضاً عن اهتمامات المؤسسات الثقافية العراقية، فالجميع ربما يعتقد أن حميد البصري مواطن من بلاد "الواق واق". يأخذنا حميد البصري، في أعماله الفنية وكتاباتاته ومواقفه النضالية، للغوص معه في مرحلة مهمة من تاريخنا السياسي والثقافي، بدأت في واحدة من أجمل مدن العراق، البصرة عام 1935، ومرت بمحطات كان فيها الفنان والمنقف والمناضل حميد البصري مصرّاً على أن الفن موقف من الحياة والمجتمع والإنسان، وبسبب موافقه عانى من التشرد بين مدن العالم من اليمن إلى بيروت ثم إلى سوريا لتنتهي المحطة في هولندا. في سيرة حميد البصري نحن أمام شخصية تشبه إنساناً قادماً من زمن مختلف، يخشى على بلاده التي غادرها مجبراً بعد تجربة

## حميد البصري... "الطريق" من دجلة إلى الراين مرّ في بردى

صفحات، لم يعل إلى مستوى التضحيات والأمال، وهو في منفا الأوروبي الأخير على مقربة من نهر الراين، رأى في ممارسات الاحتلال واستشراء الفساد وتمكن التيارات الدينيّة "الهدمية"، على حد وصفه، خطراً داهماً على هواء بغداد ومياه دجلة. كآني بطاغوت يزول فتأتي طواغيت، والخاسر من جديد هو الشعب وحده.

أما عن سبب الإشارة إليه بـ "الأستاذ حميد" فذلك ليس فقط لأنه مارس مهمة تدريس الموسيقى، كما أنشأ وقاد عديد الفرق منذ بدء المسيرة وعلى طول الطريق، بل لأن حميد البصري كان في الواقع أيضاً أستاذاً مادة الموسيقى العربية، خلال تعليمي في المعهد في دمشق، وكانت العاصمة السورية إحدى محطات "الطريق" خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات حين حل بها. وفيها، ساهم بتأسيس قسم الآلات الشرقية بالمعهد العربي للموسيقى، ومن ثم المعهد العالي، كما شكّل وقاد فرقيهما الموسيقية.

كان الأستاذ حميد وسيماً أنيقاً. ظل طبعه دمثاً ومزاجه رائقاً. يُطل علينا متأبطاً محفظة عوده بذرّاع، فيما الأخرى تمسك بغليونه يفوح منه عطر دخانه. عندما كان يتحدث في الدرس، نسمع صوته خافتاً، مزيّته بحة حميمة ولطفته لهجة عراقية دافئة. أعضاء وجهه الأسمر من تحت شاربيه الرقيقين المهديين إبتسامة صادقة. كنا نتحلّق حوله، فتيات وصبيّة، كل يمسك بكراسه، يردد من ورائه وهو يعزف على عوده، موشح "يا عذيب المرشرف"

للسيد درويش على نغمة الراست. كانت أصواتنا ونحن ننشد نسمع في بهو المعهد كهدير نهر... عن العربي الجديد

العربية. إلا أن حراك نغمة السيكا، وقرع دفوف الفرقة، وضرب ريشة البصري على العود، وصدح حجرة شوقية العطار، لم تكن لتمنع عن بيروت مأل السقوط. من المآلات، أيضاً، كان خروج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان إلى منفى آخر؛ فيبتعد الوطن وتخبو أسال الحرية، ويكبر الصدى في العالم العربي، ليكتب فصل جديد من التفرقة الفلسطينية أشد وطأة، فيما يظل الترحال بين المنافي، هو الحال الأكثر واقعية التي جمعت بين طلائع المقاومة ضد الاحتلال وطلائع التحرر الديمقراطي.

حال الترحال والمنفى، كانت فرقة الطريق قد جسدتها، ليس فقط بالنهج والسير، وليس بوحى الأشعار والألحان وحدها، وإنما أيضاً بالصورة وبالمشهدية المسرحية لدى حضورها أمام جمهورها، وفي الذاكرة الجمعية. تمثل الحضور بظهور أعضاء الفرقة على خشبة، وهم واقفون متأهبون. حتى آلة العود، التي عادة ما تتطلب من العازف جلوسه على مقعد نظراً لتكثّر صندوقها الخشبي واتساعه، تكيّف حميد البصري على حملها على نراعه، بغية العزف عليها مُتصّب القامة. بالإضافة أيضاً إلى تميّز الفرقة بزّيها الميداني الموحد، الذي بقي مناسباً لظروف المسيرة، وحمل في طياته رسائل الكفاح الثوري.

كفاح طال أمده، إلى أن شهد الأستاذ حميد البصري سقوط نظام البعث في العراق، إثر احتلال القوات الأميركية لبغداد سنة 2003. وإن طويبت معه صفحة من الطغيان، كانت قد جلبت على العراقيين العميق والدفين من الأحران والألام، بيد أن ما تلاها من

موسيقية عراقية، بالشاركة مع الشاعر زهير الدجيلي (1937 - 2016) والمغنية شوقية العطار، زوجة البصري ورفيقة المسيرة. أطلق عليها "جماعة تموز للأغنية الجديدة" سجّل عرضها الأول سنة 1977. تكيّف مع ازدياد قمع السلطات واشتداد سطوة الرقابة، اعتمدت الفرقة في نهجها إزاء الفن السياسي المناصر لقضايا الحرية والديمقراطية، أسلوباً مجازياً ظل يحتال على أذن الرقيب في الشكل وفي المضمون.

مع ذلك، لم تصمد الجماعة لأكثر من عام. لتكتمل المسيرة في المنفى ومن عاصمة اليمن الجنوبي، عدن، ولتعيد تأسيس علامتها الفنية تحت اسم "فرقة الطريق". على أعتاب الثمانينيات، وفي ظل الحرب الأهلية اللبنانية، وبخول المقاومة الفلسطينية طرفاً فيها، اكتسبت قضية التحرر من الأنظمة بعداً نضالياً؛ إذ إن الطلبة الديمقراطية، أخذت تعقد القران بين مناهضة الاستبداد السياسي، والنضال المتصل في خوض الصراع العربي الإسرائيلي.

بيروت، العاصمة العربية الوحيدة التي حاصرها الإسرائيليون ثم اجتاحتها سنة 1982؛ قد صارت لها مركزية كفاحية لدى طليعة التحرر الديمقراطي العربي. غدت "الرمز"، كما وصفها البصري، حين كان يقدم أغنيته لفرقة الطريق بعنوان "حصار بيروت" من نظم الشاعر الفلسطيني شفيق حبيب؛ إذ سيلحّن لفظ اسم العاصمة اللبنانية الذي يتقدم نصّ الأغنية على نغمة السيكا نالمة القمام، القلقة وغير المستقرة. وسيلجأ إلى مدّها زمنياً، معزّزاً بذلك عنصر التوتّر الحسي فيها، مددلاً على اشتداد الحصار، محفزاً المشاعر الوطنية نصرّة للعاصمة

علي موره لي

في مطلع قصيدته "هتافات الشعب"، يسأل الشاعر اليمني، عبد الله عبد الوهاب نعمان (1917 - 1982): "الهتافات لمن، بين الجموع؟". تأتي الإجابة في الشطر الثاني: "إنها للشعب وحده". يعود فيسأل أول كل بيت: "ولمن فرحتنا ملء الربوع؟ ولمن يقظتنا دون هجوع؟ ولمن وثبتنا دون رجوع؟". في آخر كل بيت، يُسمع ذات الجواب: "إنها للشعب وحده".

في تلحينه تلك الأبيات، التقط الموسيقي العراقي، حميد البصري (1935 - 2022)، بحساسية شعرية وحنس سياسي، مركزية الشعب ومرجعيته في معرض القصيدة. لذا، أسند الشطر الثاني إلى نغمة القرار، ألا وهي الراست. أما الأسئلة المتتالية؛ فقد أطلقها لتحوم باستمرار حول مدار الراست، وعلى بُعد النغمة الخامسة، بهذا، رسم للحن مساراً كالنهر، يعود كل مرة ليصب في عبارة الشعب وحده.

هي رحلة عود أبدي إذا. الشعب وجهتها الدائمة. هكذا تكون المسيرة، كما تطلع إليها جيل حميد البصري، الذي رحل في السابع والعشرين من إبريل/نيسان الحالي. مسيرة تقودها طليعة طوباوية من الإنتلجنسيا، ضمت أبناء وفنانين ومفكرين، نشطوا منذ الستينيات حتى الثمانينيات من القرن الماضي، على هامش الحياة الثقافية الثقلية والرتيبة، التي سادت أفنية النظام الرسمي العربي؛ أسس لها حميد البصري في بغداد فرقة

# حميد البصري: أسعى الى صوغ نغم يرقى لألم العراق وآماله

حاوره: علي عبد الأمير



تكاد حكاية الملحن والمؤلف حميد البصري في جانبها الإنساني والموسيقي توجز الكثير من حكاية المثقف العراقي في هجرته وفي محاولته تثبيت ملامح وطنية لعمله الإبداعي القائم على هاجس التجديد... وهو عبر حضور معرفي وأكاديمي وفني في أغلب المهرجانات الموسيقية العربية وعبر مهارة في تأليف 25 قطعة موسيقية والإعداد الموسيقي لنحو 35 أغنية وكتابته ثلاثة كتب في الموسيقى وإعداده كتاباً ضم نصوص ونوتات 100 أغنية شعبية عراقية، وقبل ذلك عمله البارز في المسرح الغنائي الذي اعتبر رائده في العراق، إنما ظل وفياً لبنائه الروحي الأصيل وإن توزعته الهجرات والمنافي وكان طين العراق يفيض خصوبة في فنه وحياته، حتى أنه أسس فرقة من عائلته تهجس بالعراق وفاءً لإنسانه وإن كانت مستقرة في مكان من الشمال الأوروبي.



عن تجربته الفنية وعن أبرز سمات عمله والمراحل التي مر بها منذ أواسط ستينات القرن الفائت كان للمسلمة هذا الحوار مع الفنان حميد البصري على هامش مشاركته في مؤتمر ومهرجان الموسيقى العربية التاسع (تشرين الثاني / نوفمبر 2000).

«قبل أيام وفي جلسة خاصة قدم لنا الفنان كوكب حمزة صورة فوتوغرافية تعود الى عام 1966 وتظهر فيها الى جانب عدد من موسيقيي البصرة، ما الذي تركت الصورة عندك من إنطباع؟

– أعادتني الصورة الى أول هدف أسعى له، وهو الإبداع الموسيقي الغنائي الجديد حين أسست «الفرقة البصرية» عام 1966، وكنت أثناء وجودي في بغداد لدراسة «الأنواء الجوية» درست آلة القانون في معهد الفنون الجميلة وكان أول ما قمت به بعد عودتي هو تأسيس فرقة موسيقية في «نادي الاتحاد» ضمن هدف تمحور حول تقديم الحان أعضاء الفرقة وليس مجرد استعادة الألحان الشائعة عراقياً وعربياً، فكانت هناك الحان لويس توماس، عبد الحسين تعبان وطالب غالي وهو ما نجحت «الفرقة البصرية» في تقديمه حتى بدأت أفكر بتقديم عمل أكبر فوق اختياري على «الأوبريت».

أخذنا كمجموعة فكرة هجرة الفلاحين الى المدينة عبر حث الفلاحين على التمسك بالأرض، وبدأ الكاتب ياسين النصير والشاعر علي العضب والمخرج قصي البصري والمطرب طالب غالي عملاً مشتركاً إضافة لي، أخذ طور المراحل في الكتابة والتلحين، ثم بدأت وزوجتي وطالب غالي وزوجته في البحث عن كادر تنفيذي للأوبريت (غناء ورقص تعبيرية)، درنا على العوائل لضمان موافقتها على الفتيات على العمل معنا، واستطعنا جمع 50 عنصرًا قدموا العمل بنجاح فيما بعد، وفيه غنى المسرحيون لأول مرة ومثل المطربون لأول مرة.

× أنت تتحدث عن «بيادر خير» الأوبريت الذي صار ملمحاً بارزاً في المسرح الغنائي عراقياً؟  
– نعم وعن تدريبات مضمينة بدأت عام 1967 حتى تقديمه على «قاعة الخلد» في بغداد عام 1969 الذي اعتبر أحسن عمل فني في ذلك العام ليدفعنا نجاحه الى تكرار التجربة عبر «أوبريت المطرقة» عام 1970، وبعد هذا العمل بدأت عملاً او مرحلة جديدة من عملي الغنائي والموسيقي تمثلت بأوبريت حمل عنوان «السابلة» الذي كتبه الشاعر الراحل أبو سرحان غير ان الرقابة رفضت تنفيذه وهو يدور عن المجرى الصغير الذي يربط المساحات المائية الكبيرة في الأهوار وفي دلالة على ارتباط مصائر الناس ببعضها وتأكيد قيمة العمل سوية.

كانت هذه إذن العبقة الأولى التي ستعود الى مفترق في العلاقة مع المؤسسة الرسمية آنذاك فكيف اجتزت تأثيراتها؟

– انتقلت من عملي (ممتنبيء جوي) في مطار البصرة الى مطار بغداد، وهناك أسست «الرباعي الشرقي»: البصري (قانون)، طارق اسماعيل (كمان)، حسين قدوري (تشيللو) وخالد ابراهيم (فيولا) وكان للرباعي دورٌ أساس في معاونة الراحل روجي الخماش على تأسيس «فرقة الإنشاد» فيما تحولت لاحقاً الى التدريس في «معهد الدراسات النغمية» وإن كان حلم المسرح الغنائي يراودني غير ان مستلزمات تحويله الى واقع انتهت دون عودة على ما بدا لي في ذلك الوقت، وجاءت «جماعة تموز للأغنية الجديدة» التي أسست بمساهمة الشاعر زهير الدجيلي تعويضاً عن فقدان الأوبريت والمسرح الغنائي، وحال الخط العام للفرقة (أغنيات حب للإنسان والوطن غير متداولة) عن وصول الأغنيات الى الإذاعة والتلفزيون ومن بين أعضاء الفرقة البارزين إضافة لي: شوقية، ليالي، عزيز خيون، ثامر حاتم، فيما تدرّب معنا الفنان فؤاد سالم.

ما قصة أغنية «يا عشقنا» التي أبدعت لحنها؟  
– نعم للأغنية قصة خاصة فبعد اعلان مسابقة لإذاعة «صوت الجماهير» عام 1974 فإن نص الشاعر كاظم الرويعي بالجائزة الأولى وعرض للتلحين فقدم خزل فاضل، ناظم نعيم وأنا ثلاثة الحان، لحنني اعتمد غناء من شوقية وفؤاد سالم، وكانت الإشارات كلها تدل على ان لحنني هو الفائز غير أن تغييراً في رئاسة قسم الموسيقى ومجيء ناظم نعيم بدلا من وديع خوند، حال دون اعلان

ذلك لتصب النتيجة لاحقاً في صالح نعيم، اما كيف سجلت الأغنية للتلفزيون وبحسب لحنها الذي وضعته وبادء شوقية وفؤاد سالم فإن لذلك قصة أخرى، بدأت مع أول سهرة ملونة للتلفزيون العراقي بحسب دعوة من المخرج محمد يوسف الجنابي.

قادتك المغامرة الموسيقية، وحتتلك فكرة الحرية الى هجرات وامكنة ورغم مرارتها كان هناك عمل دائم؟

– اول محطة لرحلة الإغتراب كانت في الكويت حيث سجلت خمس أغنيات في المسلسل التربوي «افتح ياسمسم» وأشهرها «سبحان من خلق» بصوت الراحل عوض دوخي بعدها عدت الى بغداد لتسجيل اغنية اخرى له غير ان موته سبقتني وحال دون تنفيذ المشروع وبعد وصولي اليمن من الكويت إثر تصاعد هجمة النظام في بغداد على القوى الوطنية عام 1978، بدأت في عدن عملاً لتأسيس قسم الموسيقى في معهد للفنون هناك، وانتقلنا الى طور متقدم لاحقاً بتأسيس فرقة موسيقية وقدمنا أوبريت «ابجدية البحر والثورة»، وإعدنا «فرقة تموز» ولكن تحت اسم «فرقة الطريق» وجمعت فيها الفنانين الموجودين في اليمن: فؤاد سالم، سامي كمال وكمال السيد.

الفرقة كانت تسافر سنوياً الى سوريا وتسجل هناك اغنيات في التلفزيون السوري عن الوطن عن النضال الوطني الفلسطيني عن الفكاهاني حيث المنفيون العراقيين في بيروت، الى جانب اغنيات عن وطننا و ضد الحرب التي تحولت كابوساً ثقيلًا على شعبه، وفي عام 1986 بدأنا الاستقرار في سوريا، وفيها عملت مع فرقة زنبوبيا للفنون الشعبية، ومن خلالها قدمت «أوبريت زنبوبيا» وفيه تمت معالجة التاريخ بوقائع معاصرة (الانتفاضة الفلسطينية الأولى)، وقمت بتدريس فنون العزف على آلة القانون والموسيقى العربية في «المعهد العالي للموسيقى» بدمشق وأسست الأوركسترا العربية للمعهد وتوليت قيادتها وكانت المرة الأولى التي يشهد فيها الجمهور حفلاً موسيقياً عربياً دون غناء، وشهدت الأوركسترا في عروضها اختيارات دقيقة لأعمال فيها توزيع



هارموني وبصحبة مجموعة من طلاب المعهد شكلت فرقة غناء قدمت الوان الغناء العربي كالموشحات وغيرها، غير ان عميد المعهد العالي صلحي الوادي منع الطلاب من الغناء، حين رأى ان الغناء العربي يؤثر على تركيبتهم الموسيقية!! بعد سوريا وعملك ضمن قوالب الموسيقى العربية فيها أكاديمياً وفنياً جاءت المحطة الهولندية حيث تقيم، ما الذي اكتسبته في مكانك الجديد؟

– مع استقرارني في هولندا عام 1995، عاودت عرض امكانياتي في العزف على العود والقانون وقدمت أكثر من حفل على الألتين ومع استحسان الجهات الهولندية التي دعمت العروض وفكرتها الفنية (35 حفلاً على امتداد 4 سنوات في هولندا وبلجيكا) ووصول شوقية والعائلة أعدا تشكيل الفرقة لتصبح «فرقة البصري» وليشاركني الأولاد في مهمة نشدت تحقيق غايتين الأولى هي في تغيير وجهة نظر الاوربيين في مستوى الغناء العربي والشرقي واشتركنا عام 1998 في مسابقة لمن يغني في اغنيات غير اوربية ولنا الجائزة الأولى، والغاية الثانية كانت في ربط العراقيين بوطنهم من خلال تقديم الموروث العراقي من مقامات واغنيات، وكانت حفلاتنا للعراقيين تحقق أوقاتاً من الصفاء الروحي الذي نادراً ما يشعر به العراقي في منافيه.

هل تفكر بعمل موسيقي غنائي يكاد يختصر المحنة العراقية عبر مراحل الألم وجولات التشظي؟

– لم أبتعد عن العراق وهناك من الأغنيات عدد طيب كتبه الشعراء رياض النعماني، جاسم ولاني، كامل الركابي، عبد الرضا الأسدي وغيرهم، وهذا يأتي ضمن سعي لتقديم استجابة لما أشار اليه السؤال، ربما تنضج في مرحلة لاحقة عبر شكل غنائي وموسيقي قد يأخذ شكل الأوبريت او غيره، غير ان الأکید فيه هو انتمائه العميق لروح العراق وآمال انسانه في الوصول الى لحظة اطمئنان وتصالح مع الأرض التي تحولت منذ فترة الى مرجل يطلق النار ويعذب الناس ويخفق الآمال.

× نشر الحوار في مجلة «السلة» 2001 ضمن العدد الخاص بالفنون العراقية

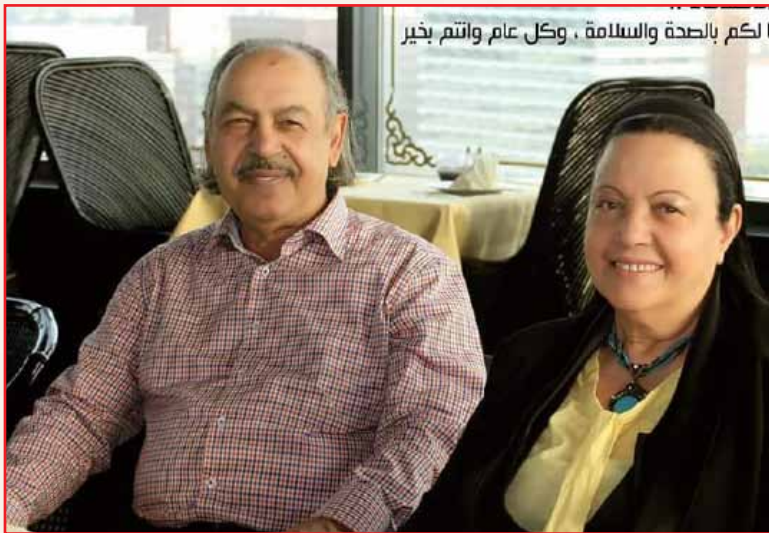
# فيوضات محبة.. في وداع الفنان حميد البصري



طالب غالي

أبا نديم.. حميد البصري..  
أترك استعجلت الرحيل؟  
أم أن روحك تاقث الى عالم نوراني أكثر  
اشراقاً؟  
يا حميد..  
هكذا أناديك، فلقد عرفتك وكان عمري عشر  
سنوات،  
حين كنا أبناء محلة واحدة في مناوي الباشا.  
رأيتك وأنت بعمر الثانية عشرة، وفي يدك آلة  
ايقاع صغيرة توفّق  
عليها بعضاً صغيرة، وأنت تتشُدُّ مع رجالٍ  
يكبرونك عمراً،  
بعض ترايل المادائح النبوية في حلقات الذكر،  
حيث كنت أتابع جلساتها بشغف واهتمام، لما  
تقدمه من تهويمات روحية بأنغام متنوعة.  
ودارت بنا الأيام،  
وألقت بنا الحياة في دروب ومسالك ومنحنيات  
مختلفة،  
كل إلى متناى.  
والتقينا بعد سنوات طويلة...  
حيث انتقلت أنت وعائلتك الى محلة أخرى  
وسكن جديد.  
في هذه المرحلة حين التقيتك، تعرفت عليك شاباً  
نشيطاً طموحاً،  
فقد أورك كثيفاً فيك حُب الموسيقى، ورجع  
الإيقاعات الجنوبية،  
وغناء الفلاحين،  
ونداء الشواطئ، واهتزاز سعفات النخيل،  
وعلقت في أرواحك رائحة الطلع،  
ونفخ الجوري،  
وارتفع في داخلك منسوب حب البصرة مدينتك  
الأثيرة.  
كان أول لحن جميل صغته أنت،  
فحفظته عنك ورددته مع مغنين آخرين،  
كتب كلمات النص الشاعر ناصح محمود..  
على شط العرب تحله أغانينا وعلى البصرة  
كمر ونجوم يا محله الليالي ومحله هالسهرة  
في هذا اللحن كنت قد ادخلت (الصفحة  
البصرية) وهذا بحد ذاته ابداع جديد.  
كان اللحن جميلاً راقصاً وفيه حداثة لحنية،  
وإيقاعية نشطة، حرّكت المشاعر والفرح،  
وعكست مرح البصريين وطيبتهم وهزجهم.  
وتعاليت شجرة باسقة أعطت ظلالاً وثمرأ  
مختلف الطعم واللون والرائحة.  
فقدت أغنيات وجدانية، أغنيات وطنية،  
أغنيات وصفية للطبيعة وجمالها.  
كنت مجدداً طموحاً، وسعيت بكل ما تملك من  
طاقة وإمكانية من أجل أن يكون للبصرة فيها  
التميز والعذب والأصيل والجديد.  
فعمدت بسعيك الحديث،  
ولم تعرف الكلل او الوهن،  
إلى تشكيل فرقة موسيقية من العازفين  
الجديدين والمطربين الذين يمتلكون صوتاً  
جيداً، وتواصلت مع الشعراء الشباب الواعدين  
وهدفك كان هو أن تتبنى الفرقة نتاج أعضائها  
الجديد غير التقليدي، من كتابة الشعر،  
والتلحين، والغناء.  
ما هذا العزم والطاقة والإصرار؟  
وأعلنت بهمة وثقة عالية عن تشكيل الفرقة  
الموسيقية البصرية.  
كنت مؤسسها وقائدها.  
وذلك عام 1965، وبعد عام على تأسيسها

وتعبيراً.  
كنت يا أبا نديم أول ملحنٍ عراقي يقدم مثل هذا  
العمل الكبير،  
ليس في البصرة فحسب،  
بل على صعيد العراق، فسُجّلت الريادة في  
تقديم  
أوبريت غنائي عراقي باسمك أنت..  
فازدهت البصرة وعلا اسمها وسجل التاريخ لك  
هذا الابداع.  
يا ابا نديم..  
في داخلي فيوضات محبة، ونبض وشائج  
علاقة عائلية حميمية عميقة الجذور  
هادفة ومشتركة، درباً.. وفناً.. وفكراً..  
وعطاءً.. أحتاج الى صفحات عديدة كي اسطر  
أحداثها وتفاعلاتها وأبعادها.  
يا صديقي ورفيقي..  
ولن ننسى كعائلة ما بيننا من علاقة عائلية  
نموذجية حيثما كنا وعبر السنوات التي مرت،  
وفي بلدان الهجرة.  
سأكتب لاحقاً ما لم أستطع ذكره الآن، وهو  
كثير،  
فأنا أعيش مع حزن ساخن أورثه رحيلك  
الصادم والموجع، وسيل متدفق من الذكريات  
المشتركة التي جمعتنا في العراق،  
وفي بلدان المنفى القسري.  
أشارك أنا وعائلتي بكل أفرادها عائلتك يا حميد  
حزنيهم ولوعتهم لفراقك ورحيلك،  
العزيرة الغالية أم نديم، رفيقة عمرك ودربك،  
وشريكة ابداعك وعطائك،  
ومقاسمة الأملك وافراحك، فهي الحبيبة  
والزوجة الطيبة والأم الوفيّة.  
وأبناء الأعراف نديم.. رعد.. سامر.. أور..  
بيدر.  
أنت باق في وجداننا وذاكرتنا لن تغيب،  
صحيح هو الجسد وحده الذي ارتحل الى حيث  
يكون المأوى والرقة الأبدية للبشر.  
لكن روحك ستظل ترفرف حائمة حولنا وبيننا،  
تذكرنا بك وبما أبدعت من فن جميل ومساهمة  
إنسانية وتطلع متفائل،  
لوطن حرّ وحضاريّ مزدهر يسوده السلام  
والمحبة ويعيش أهله بونام وأمان.  
لروحك السلام.. ولك الذكر الطيب الجميل.



اقتضت الضرورة الفنيّة إلى تقديم عمل  
يتخطى الغناء الفردي  
و الأغنية الواحدة والموضوع الواحد.  
وبعد مناقشات طويلة مع أدباء وفنانين  
بصريين.. منهم الشاعر والفنان والخطاط  
محمد سعيد الصكار الذي كان له دور مؤثر  
ومهم في هذا المشروع أو الفكرة، والناقد  
المعروف ياسين النصير، وكذلك آخرون،  
ساهموا في إغناء الفكرة وتدعيمها.  
تمّ خلال هذا اللقاء التوصل إلى تقديم عمل  
مسرحي غنائي يتناول ظاهرة هجرة الفلاحين  
من الريف الى المدينة، وانعكاسات ذلك على  
هذه الشريحة من المجتمع وتداعياتها والنتائج  
المرتبطة عليها.  
فكان... أوبريت... بيار خير...  
وضع السيناريو له الناقد المعروف ياسين  
النصير وكتب شعره  
الشاعر المتألق علي العضب.. مع بعض أبيات  
من الشعر الفصيح  
لربط المشاهد ببعضها.. كتبها الشاعر خالد  
الخشاش.  
وأسند الاخراج المسرحي للفنان المبدع قصي.  
ولك صياغة الألقان المتنوعة، حواراً ولوحة

ومخاطبتها على التمارين للأغاني الجديدة  
بصورة جدية والتزام عال بمواعيد التمارين،  
قدمت الفرقة أول قفاتها على بهو البلدية  
مقابل أسد بابل بأغنيات جديدة، للملحن الفرقة  
ومطربها وشعراء البصرة بنصوص جديدة،  
لحناً وغناءً وشعراً.. فلاققت نجاحاً وإعجاباً  
جماهيرياً منقطع النظير.  
وتواصل عطاؤها الفني المتميز والمتجدد  
وشكل علامة باهرة في المشهد الموسيقي الغنائي في  
البصرة. كما قدمت للتلفزيون في بغداد  
ضمن برنامج وجوه جديدة أفراداً من بين  
أعضائها.  
في مجال الغناء.. سبتا هاكوبيان.. لويس  
توماس.. طالب غالي.. والتلحين إضافة  
اليك.. سامي شاكر.. وليد لويس.. محمد سعيد  
خزعل.. مهدي صالح.. طالب غالي..  
وكانت كل الأعمال جديدة في محتواها  
الموسيقي واللحن والنص الشعري الغنائي.  
كنت اللولب والمحرك يا أبا نديم ودايمو  
الفرقة وربانها، وراسماً بمنهجية ووعي طريق  
عملها وأهدافها وتطورها.  
بعد هذا الانجاز الرائع والذي تفاعل معه  
الجمهور البصري وفنانونه ومثقفوه،



# تاريخ الأغنية السياسية في العراق



حميد البصري

قال أحدهم في إحدى الفضائيات العراقية بأنه لا توجد أغنية سياسية في العراق عدا الأغاني التي كانت تمجد النظام... الخ. في الواقع أن أية أغنية تعتبر، في الجوهر، سياسية، حتى العاطفية تعبر عن مفهوم اجتماعي سياسي يجسد العلاقة بين الرجل والمرأة. أما مفهوم الأغنية السياسية فقد ارتبط بالأغنية الوطنية.. الأغنية الثورية.. الأغنية المناضلة.. الأغنية الرافضة، بعيداً عن أغنية السلطة.. أغنية مديح الحاكم أو الترويج لأفكاره.

عندما نتكلم عن الأغنية السياسية في العراق، نعني بها المفهوم أعلاه. فقد بدأت تلك الأغاني في النصف الأول من القرن العشرين وكانت بشكل أهازيج (هوسات) انتشرت في ثورة العشرين وكان مضمونها محرضاً ضد الاستعمار الأنكليزي ومن أجل الحرية والاستقلال، أما الحانها فكانت عفوية بسيطة.

ثم جاءت أغاني المناضلين في سجون العهد الملكي، إذ كان المناضلون يؤلفون كلمات تتكلم عن هموم الوطن والحرية، يلحنون بعضها أحياناً بسيطة مثل:

السجن ليس لنا نحن الأباة السجن للمجرمين  
الطغاة

ويركبون البعض الآخر على الحان شعبية مثل:  
يا أمي لا تيك عليه أنا المناضل يا هنية  
أو الحان مأخوذة من أعمال موسيقية عالمية مثل:

لأجل السلام سنزيل النظام  
ونرفع الأعلام للحب وإسلام  
بعد ثورة تموز عام 1958 التي أسقطت الملكية وأقامت الجمهورية، ومع الروح الثورية والحرية التي سادت العراق خاصة في السنتين الأولى للثورة، ظهرت مجموعة من الأغاني السياسية التي الهبت حماس الجماهير العراقية للحفاظ على الثورة ومكتسباتها مثل أغنية (هرجي) للفنان الراحل (أحمد خليل).  
من تهب أنسام عذبة من الشمال على ضفاف

الهور تتفتح قلوب  
لو عزف عالناي راغي بالشمال عارلرابة يجاوبه  
راغي الجنوب

هرجي كرد وعرب رمز النضال  
وفي بداية الستينات حيث بداية انحسار الديمقراطية والحرية، انحسرت الأغنية السياسية ثم اختفت مع بدء الانقلاب الدموي البعثي في العراق عام 1963، فعدت إلى السرية التامة بين المناضلين التقدميين.

وفي عام 1968، وبعد الانفتاح النسبي من السلطة تجاه القوى الديمقراطية، نشط بعض الفنانين الديمقراطيين بانتاج أغان سياسية دون تمكنهم من تداولها بحرية. وفي عام 1969، قدمت الفرقة البصرية أول أوبريت عراقي (بيادر خير) من كلمات الشاعر (علي العضب) والحن (حميد البصري)، وهو عمل مسرحي غنائي يحكي عن صراع الفلاحين مع الاقطاع واضطرار بعضهم للهجرة إلى المدينة.

وفي عام 1970 قدمت الفرقة نفسها الأوبريت الثاني (المطرقة) من الحان (طالب غالي) الذي جسد معاناة العمال مع أرباب العمل.

بعدها تشكلت فرق صغيرة من الشبيبة الديمقراطية هيا لها بعض الفنانين اغان سياسية اشتركوا فيها عام 1973 في مهرجان الشبيبة الديمقراطية العالمي في برلين.

في 21 كانون الأول /ديسمبر من عام 1976، وخلال جلسة تشاور ونقاش مع الشاعر المبدع (زهير الدجيلي) تم الاتفاق على تأسيس فرقة غنائية مصغرة يكتب كلمات أغانيها الأخ زهير وأقوم انا بتلحينها. وقد اتفقتنا على أن يكون مضمون الأغاني غير مباشر، يتكلم عن حب الوطن والتمسك به وحب الناس مع تضمين مبطن لقضايا شعبنا العراقي والعربي لأننا واثقون من أن السلطة الحاكمة لن تسمح لنا إذا شعرت بمضمون الأغاني ضدها.

وقد أبدع الأخ زهير في ذلك، فكانت الأغنية الأولى:

تدرون ليش نصب... حتى اليجب يعرف يجب  
الناس

تدرون ليش نصب... حتى بعشقنا يلما شوق  
الناس  
عشاق هاي الكاع لو شحوا نضل عشاق  
نتبادل وياها العمر واشواق وي اشواق  
تعطش.. يلما الليل عطشانين  
تخضر.. يلما الصبح فرحانين  
عشاق ياخذنا العمر عشاق  
واحباب علمنا الوطن شنحب حبيننا كا الورد  
والأكثر القداح

وحبيننا أعلى القمّر والأكثر التفاح  
لكن محبة الوطن عدنا تضل سلاح

ولو ضاع حب الوطن يا حب يضل له جناح؟  
وفي الوقت الذي كان الأخ زهير يهني لنا الأغاني، اخترت العناصر الغنائية وكانوا أربعة (فتاتين وشابين) وبدأت معهم تدريبات مكثفة على الأيقاعات العراقية بألة (الدف الكبير).

ثم بدأنا التدريب على الأغاني الواحدة تلو الأخرى حتى أكملنا عشر أغنيات منها:

يمر القمر ليلية متعود وينشدي  
قلت له حبيبي ضاوي  
مثلك يا لمواعدي

قلت له حبيبي الهوا ذاك اليلما بديرة  
توسعنا كلنا سوا وواحدنا كمره صغيرة  
قلت له حبيبي الوطن والوطن غالي علينا  
لو ضاع ياهو بعد يندلنا ويحاجبنا

وأغنية (عيني يا قمرية) - نجبكم - علينا يا شوق العالي.... وغيرها.

وفي بداية عام 1977، قدمنا الحفل الأول للفرقة التي أسماها (جماعة تموز للأغنية الجديدة) لمجموعة كبيرة من الصحفيين في ناديهم. وقد أعجب الجميع بالفرقة وأغانيها، وكان من بينهم من هو تابع للسلطة لكنهم لم يجدوا ثغرة يستندون عليها لمنعنا من تقديم تلك الأغنيات إضافة إلى إعجابهم بأسلوب تقديم الفرقة والحن الأغاني.

ذكرت سابقاً عن بداية تأسيس (جماعة تموز للأغنية الجديدة) التي قدمت عشر أغنيات سياسية في حفلها الأول كلها من كلمات الشاعر (زهير الدجيلي) والحناني وقد ذكرت نماذج منها.

قدمت الفرقة بعد ذلك عدد من الحفلات الجماهيرية في بغداد وبعض المحافظات العراقية، بالتنسيق غير المباشر مع القوى الديمقراطية واسناد من أحد المسؤولين في السلطة بسبب قناعته المطلقة بالفرقة وما تقدمه. قدمنا أغان جديدة أخرى من ابداع شاعرنا تحت الناس على التكايف والعمل من أجل حرية الشعب وضد الظلم والمحافظة على الوطن من أعداءه.

حاولنا تسجيل تلك الأغنيات في الإذاعة والتلفزيون دون جدوى. وفي نهاية عام 1978، ومع ازدياد الهجمة البربرية من السلطة البعثية على القوى الديمقراطية اضطررنا إلى الخروج من العراق. أعدنا تأسيس الفرقة من جديد

في (عدن) باسم (فرقة الطريق) وبدأنا مرحلة جديدة من الأغاني المباشرة ضد النظام القمعي الدكتاتوري في العراق إضافة إلى أغان للشعب الفلسطيني والعربي وأغان إنسانية تدعو للسلام والمحبة بين البشر. ومن تلك الأغاني:

ولتبقى يا وطني أكبر والتبقى يا وطني أخضر  
بقلوب العمال تجذب عيون الأطفال تصور  
نجماً.. قمرًا.. مطراً.. بيدر

ولتبقى يا وطني أبهى من فرح الموسم أو أزهى  
إن تهجر غصنك يا وطني أطيار الحب المذعورة  
أو تغدو أنهارك عطشى وتبيت عيونك مأسورة  
فالعهد سيبقى يا وطني والشعب سيبقى يا وطني

تكتب أمجادك اسطورة  
وأغنية أخرى:

لا لا لا نترك الفاشست في عراقنا يعبتون  
لا لا لا نفلت المجرمون

نقسم بالنهرين.. نقسم بالجبال.. نقسم بالسهول  
نقسم بالنخيل.. نقسم بالدم الذي يسيل  
لا لا لا نترك الفاشست في عراقنا يعبتون  
وللشعب الفلسطيني، ومن كلمات الشاعر الفلسطيني (توفيق زياد) أغنية المستحيل:

أهون ألف مرة.... أن تدخلوا الفيل بثقب أبرة  
وأن تصيدوا السمك المشوي في المجرة  
أهون ألف مرة... أن تطفئوا الشمس  
أهون ألف مرة.... أن تحبسوا الرياح  
أن تشربوا البحر وأن تنطقوا التمساح

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

مخزى لريم

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الإلكتروني  
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

كثيراً في المهرجان العالمي للشبيبة الديمقراطية  
العاشري (برلين) هي أغنية (يا شبيبة توحدي):  
يا شبيبة توحدي لاجل النضال  
وابني مستقبل بلدنا من الجنوب للشمال  
وابني من صرح البطولة  
وطن لعيون الطفولة..... لا حروب... لا قتال  
يا شبيبة توحدي  
أسأل التاريخ عنا... يحجي عن التضحيات  
عالجس مكتوب اسمنا.. بثورة الحي والفرات  
قلب واحد.. وايد وحدة.. من الجنوب للشمال  
يا شبيبة توحدي  
وللفنان (طارق الشبلي) أغنية مكبته التي تجسد  
نظام المرأة العراقية:

مكعبة ورحت أمشي يمه بالدرابن الفقيرة  
وسط في وشمس يمه وأنه من ديرة على ديرة  
وزعت كل المناشير وخبرهم  
ومن مشيت عيوني ما تيهت درهم  
سلمتهم آخر أعداد الجريدة  
بلغتهم باجر الحيطان تحجي بالشعار اللي نريده  
بلغتهم باجر الما يدري يدري يهتف وينشر قصيدة  
باجر عيون الرفاكة تصير كمره  
باجر زنود الرفاكة زنود سمره  
وللفنان (جعفر حسن) العديد من الأغنيات، أغلبها عن  
الطبقة العاملة، ومنها أغنية (أبو علي):  
اليمشي بدرينا شيشوف... يا بو علي  
لو موت لو سعادة  
واحنا درينا معروف... يابو علي  
والوفه عدنا عادة  
ولو طاحت الكاع بضيع.. نصعد على اجتاف الغيم  
نمطر وفه وسعادة.. يا بو علي

ثم ظهر الفنان (سامي كمال)، ومن أغانيه (صويحب)  
وهي من كلمات شاعرنا الكبير (مظفر النواب):  
ميلن لا نتقطن كحل فوق الدم  
ميلن وردة الخزامة نتقطن دم  
جرح صويحب بعطابة ما يلتم  
لا تفرح بدما لا يا الاقطاعي  
صويحب من يموت المنجل يداعي  
وللفنان الراحل (كمال السيد) مجموعة من الأغنيات  
منها:

دقوا الأبواب على بغداد المنذورة  
دقوا الأبواب على بغداد المغدورة  
وافتحوا للدم الدرب... خلوا الدم يساقي  
تنزوع الأرض أبطال... بنضالك يا عراقي  
وللفنان (كوكب حمزة) اغنيتان الأولى عن أطفال  
العالم والثانية عن نضال الشعب التشيلي.  
توالت الأغنيات السياسية من هؤلاء الفنانين التي  
كانت تقدم في الحفلات الحزبية فقط دون التمكن  
من ايصالها الى الإذاعة. وبعد اشتداد الهجمة من  
السلطة على القوى الديمقراطية في النصف الثاني  
من السبعينات، خرج هؤلاء الفنانون، كما نحن،  
الى خارج الوطن، وكان تجمعهم في (عدن) عاصمة  
جمهورية اليمن الديمقراطية عدا (كوكب حمزة)  
مضافاً لنا الفنان (فؤاد سالم).

فسحت لنا جميعاً (اليمن) بانتاج أغاني سياسية  
مباشرة ضد النظام وغير مباشرة. تواصل انتاج  
العشرات من تلك الأغنيات خاصة بعد سفر الكثير  
من الفنانين الى لبنان ثم سوريا وتقديم الأغاني  
السياسية المتعددة المضامين حول العراق وفلسطين  
ونضال شعوب العالم نحو الحرية والديمقراطية.  
استمر الفنانون المذكورون بانتاج الأغاني السياسية،  
أضيف لهم الفنان (فلاح صبار)، عدا البعض  
الذي قل انتاجه أو جفت قريحته أو ترك الأغنية  
السياسية، استمروا بالإنتاج حتى بعد سقوط النظام  
الدكتاتوري والى الآن.

فبعد هذا الاستعراض للكلم الكبير من الأغاني  
السياسية، هل يمكن لأحد ان ينكر على الفنانين ذلك  
الإبداع المتواصل للأغنية السياسية في العراق؟ علماً  
بأنني ذكرت نماذج قليلة فقط من تلك الأغنيات التي  
ما زالت محفورة في ذاكرة الشعب العراقي.. وعذراً  
للفنانين على ما أغفلته أو نسيتته أو لم أعلمه ووجب  
ذكره.

ليد ظلت تقاوم  
والذي في القلب ومن جيل لجيل  
املاً الدنيا هتافاً لا يساوم  
كفر قاسم  
دمك المهودر مازال  
وما زلنا نقاوم  
والحرية التي يتطلع لها شعبنا هذه الأغنية:  
على أجساد المحرومين... عالغذوبهم بالتيار  
عالي ماتوا مصلوبين.. عالي بدمهم رسموا وردة  
عالحيطان الصخرية... كتبت اسمك حرية  
عالبيبان أكتب اسمك.. ع الرحلة وعالكراسات  
عالبيبان أكتب اسمك.. ع المي وأشجار الغابات  
على خارطة المنوعات.. ع الكون وكل القارات  
على آسيا.. وأفريقيا.. وأمريكا اللاتينية  
على الأرض العربية  
نكتب اسمك حرية

استمرت الفرقة بانتاج الأغاني التي توأكب الأحداث  
في الوطن العراقي والعربي، تشد من أزر العراقيين  
في الداخل لمقاومة دكتاتورية النظام البعثي وتذكر  
العراقيين في الخارج بضرورة الالتصاق بوطنهم  
والعمل، كل من مكانه وبامكانياته، في سبيل  
الخلاص من ذلك النظام البغيض. استمرت انتاجاتنا  
وانحسرت امكانية تسجيلها في وسائل الإعلام  
العربية لحين سقوط النظام في ابريل 2003.  
إذا استعرضنا أغانيها السياسية، نجد القليل منها  
عفوياً، مؤلفها وملحنها مجهول، كما في الأهازيج  
(الهوسات) التي ظهرت في ثورة العشرين لتمجيد  
نضال الشعب العراقي وتحريضه على مقاومة  
الاستعمار البريطاني. أما أغاني السجون في العهد  
الملكي، فلم يوفق لحد الآن مؤلفها أو ملحنها.

بعد ثورة تموز عام 1958، نشط فنانون في انتاج  
أغان تجسد الثورة ونضال الشعب العراقي فمنهم من  
تمكن من تسجيل تلك الأغاني في الإذاعة مثل الفنان  
(أحمد الخليل) والمونولوجست (فاضل رشيد)،  
وهناك فنانون لم يتمكنوا من إيصال نتاجاتهم الى  
الإذاعة.

بعد انتكاسة ثورة تموز، حوصرت الأغنية السياسية  
ومنتجها من الشعراء والملحنين الذين كانوا من  
الشيوعيين واصدقاؤهم فقط، وأؤكد على كلمة فقط  
لأن هذه هي الحقيقة، مما جعل كثير من تلك الأغنيات  
حزبية مباشرة يتداولها الحزبيون فقط. ولم يكن  
للأطراف الأخرى مبدعون للأغنية السياسية.  
في بداية السبعينات من القرن العشرين، وبعد  
الانفتاح النسبي للسلطة على القوى الديمقراطية،  
بدأت الأغنية السياسية تظهر من جديد، وظهر فنانون  
لتلك الأغنيات منهم الفنان (طالب غالي) و (طارق  
الشبلي) في البصرة و الفنان (جعفر حسن) في بغداد.  
ومن أغنيات الفنان (طالب غالي) والتي اشتهرت

أهون ألف مرة...  
من أن تميتوا باضطهادكم وميض فكرة  
وتحرفونا عن طريقنا الذي اخترناه... قيد شعرة  
ولكسب تضامن الشرفاء مع شعبنا هذه الأغنية:  
إننا لا نهرب الموت ولكن...  
يا جميع الشرفاء.. يا جميع الأصدقاء  
ارفعوا أصواتكم من أجل شعبي  
إننا نطلب من أعماقكم صيحة حب ورضا  
يا جميع الشرفاء.. يا جميع الأصدقاء  
ارفعوا أصواتكم من أجل شعبي  
إن أيدي المجرمين القتلة... مثل آلاف الأفاعي  
زحفت تشخذ حد المصقلة  
فاصرخوا بالقتلة

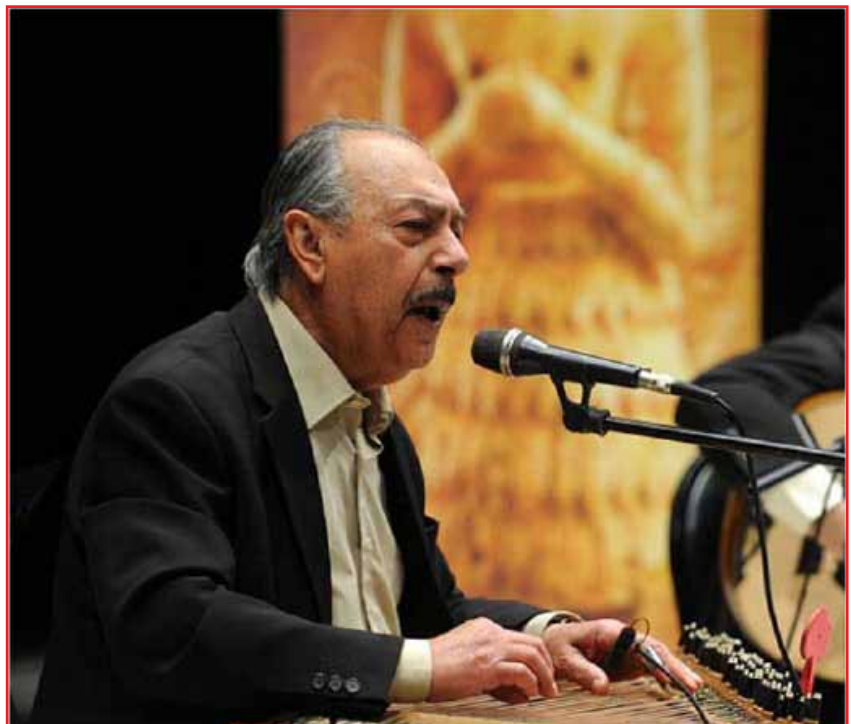
وكانت بعض الأغنيات حزبية تشيد بنضال الرفاق  
ضد السلطة الدكتاتورية وصمودهم في السجون.  
وكنا نسجل تلك الأغاني ونبعثها الى العراق ليتداولها  
المناضلون سراً.

إن اول انتشار واسع لأغاني (فرقة الطريق)  
السياسية كان في أوائل الثمانينات من القرن الماضي  
عندما قدمت الفرقة أكثر من ثلاثين حفلاً جماهيرياً  
في لبنان للمقاومة اللبنانية والفلسطينية، وبعد ان  
سجلت أكثر من عشرين أغنية في تلفزيون دمشق.  
ثم توالت حفلات الفرقة في سوريا حيث كنا ندعى  
سنوياً الى دمشق لتسجيل أغان جديدة وتقديم  
حفلات جماهيرية، وقد ضمت أغنيات عن صمود  
الشعب اللبناني والفلسطيني والسوري بالإضافة  
الى اغنيات عن الواقع العراقي. ومن تلك الأغنيات:  
حصار بيروت

بيروت... بيروت.. يا أرض الرجولة والفداء وخذق  
الشعب الفريد

لهفي على الأطفال يلتفتوا كالطير الطريد  
ذبحتهم التفجرات من الريد الى الوريد  
يا ناكر الأفراح قلها يا حقود  
ما زال في الأرحام أطفال لهم فجر جديد  
فاضرب.. فلن يفنوا.. فهل يفنى الوجود  
شدد حصارك إن بيروت البطولة لا تبيد  
للسنا نخاف الطائرات ولا المدافع والجنود

وأغنية أخرى عن مجزرة صبرا:  
امحيتني الصبر يا صبرا امحيتني  
واجعلي الشمس تضيء الآن في شكل حزين  
واعلنيها للورى أنه مهما فعلوا  
لن تخضعي لا لن تليني  
واكتبي أسماء من قتلوهم فيك يا صبرا على كل جبين  
ولفلسطين أغنية (كفر قاسم):  
يوم قالوا سقطوا قتلى وجرحي ما بكيت  
قلت فوج آخر يمضي ومن بيت لببت  
وأنا يا كفر قاسم  
أنا لا أنشد للموت ولكن



# حميد البصري.. شهادات

”يا عشقنا“

## مارسيل خليفة

يطيب المقام العراقي في أغنية ”حميد البصري“ بلحظة البياض على العشاء السرّي بمنزله البغدادي. كان الشجن بصوت ”شوقية العطار“ على بلاد نحبها يصرخ برعشة الذروة بين دمع التمر والغزل. قبل العبور إلى اليمن السعيد ومن بعد إلى بلاد الشام وصولاً إلى البلاد الواطئة. اتسع المدى وحمل حميد عائلته وهرب الحنين في الأغنيات ليضرب على لهيب الهجرة رذاذ العيون المتعبة.

اليوم يا صديقي أكمل كتابة رسالة لك بدأتها من سنين وأهملت التمتة. كيف اكتب لك من وحي الغياب ”غياباً“، غياب أخطأ موعده على عتبة الأغنية.

هل الزمن موجة مُدّ تنحسر؟ ركبت المتاهة كمن يركب البحر على صهوة موجة لا عنان لها في لعبة الجمر المطوق بالكبريت. وأعرف بأنك تشتاق إلى ندى ليك على شواطئ دجلة والفرات ينشر نوره السماوي. وتعلن في سرك ما يفضح المجهول في صمتك. الفضاء رمادي أمام حروف الرثاء. وبقايا الروح تنشد في خلاء لا يملأه غير صدى مسكون برائحة الغريب في مملكة بعيدة.

يا حميد، ما زال الشعر يصلح للغناء فلماذا رحلت سريعاً؟ عشقت مداعبة أوتار العود والقانون حيث ألفت الجمال في سجع المقامات. هل ضجرت وأنت المجدبول على الترحال في الفيافي؟ هل الزمن لا يتسع لسباحة نهن يبحر في البعيد؟

سيضيف ”رعد“ على وتر الكمان ”نغمة“ تنشر قوسها من دون جهر! وستعني ”بندر“ مع ”شوقية“ يا عشقنا ويشكل ”خلف“ مسرحه بمطرك الناعم. كلهم بين بداية ونهاية يقيمون على حدود متداخلة مع نبيل إنسان مجبول بالحب.

حميد البصري شكرًا لك!

والكل الكوني في موسيقى الرحيل. إن سيرة من الكفاح اليومي والتضحية من أجل الحقيقة لن تحتويها هذه النهاية المفجعة بسهولة؛ لكن الموسيقى وحدها ستنسج حول القبر الكوني أسطورة جديدة من الكفاح/ الغربة/ الرحيل إلى ندى الكون الممتدة على نوتة لا نهائية.

## هكذا اكتشفتني حميد البصري

### سيتا هاكوبيان

نعت الفنانة سيتا هاكوبيان في صفحتها في فيسبوك الفنان حميد البصري الذي غيبه الموت الإربعاء الماضي قائلة (سمعت خبراً أليماً جداً، إنتقل الموسيقار الكبير الاستاذ حميد البصري الى الجانب الآخر من الحياة بعد ان قدم الكثير من الاعمال الفنية التي سنبقى في ذاكرة تاريخ الفن الغنائي العراقي. في عام 1968 كنت قد دعيت الى بغداد من قبل نادي الشبيبة الارمنية للمشاركة في الحفل السنوي الذي يقام على مسرح قاعة الخلد بأغنية الكبيرة فيروز (اعطني الناي وغني). وفوجئت بالاستاذ حميد حميد البصري (الذي قدمني مع الفرقة الموسيقية البصرية لإذاعة بغداد وكانت تذاع من تلفزيون بغداد قبل بدأ البرامج) فوجئت به يطرق باب بيت خالتي وقال (هناك برنامج الوجوه الجديدة وانا لحن لك اغنية الوهم للكبيرة نازك الملائكة ويجب ان تحفظها بسرعة لتقديمها في التلفزيون العراقي)، وهكذا قدمني الفنان حميد البصري الى الجمهور. وتوالت اعماله معي بأغنية مشغول للشاعرة نازك الملائكة ومن بعدها قدم اول اوپريت عراقي بعنوان ”بيادر خير“، ودوري في هذا العمل الكبير كان الارض. رحم الله ابا نديم والههم زوجته ورفيقة دربه الفنانة شوقية العطار وأبنائهم جميعاً وكل محبيه الصبر والسلوان.

## مغني الاحلام العربية

### محمد المقرئ

هل تتذكرون فرقة الطريق التي مرّت على عدن وصارت مقامها ومنطلقها؟

لقد مات فنان الفرقة وملحن أغانيها العراقي حميد البصري، حسب نعي نُشر من مارسيل خليفة.

أمس رحل في هولندا، حيث أمضى سنوات عمره الأخيرة وهو المنفي أبداً.

مات مغني الأحلام العربية في الحرية والاشتراكية والحب والسلام، بعد أن شهد الخيبات الكبرى لكل الشعارات الجميلة.

كان منشداً لتطلّع بغداد وبيروت ودمشق وعدن منحازاً لهوى الفقراء وأولئك الذين قالوا لا لكل سلطات الاستبداد العربي،

لتنتم روحك بسلام أيها الفنان.

## حميد البصري، وموسيقى الكون

### محمد خضير

لطالما كانت الموسيقى تطابقاً هارمونياً مع نظام الكون. ولقد حاول الموسيقار «البصري» عبر موسيقاه (الأغاني الشعبية والأوبريتات) أن يقترب من هذا النظام، عبر دمج الجزء الفاعل من شخصيته في الشكل المفعول من صورة العالم. لكن هذا التقارب/الامتزاج سيختل كثيراً برحيل الموسيقار «البصري» عن هذا العالم، كما لم يختل في أثر مسموع أو مكتوب. إنه افتراق سيضرب كثيراً بمغزل الموسيقى الدائر حول مكان ما من العالم منذ عصر أفلاطون.

سيحتاج العالم/ العراقيون إلى أن يمزجوا بين الجزء

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

